((الامام الباقر (عليه السلام)ودوره الريادي في اصلاح الامة الاسلامية)).

أ.د أنمار عبد الجبار جاسم
جامعة القادسية / كلية الاثار

أ. م. د ضرغام سامي عبد الامير
جامعة القادسية / كلية التربية

ملخص البحث:

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأمة، حيث تميّز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة وفضائله النفسية والأخلاقية السامية ممّا جعل صورته صورة متميّزة من بين العظماء والمصلحين، كما تميّز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الانسان. وكان الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام جامعاً للكمالات الانسانية في سيرته وسلوكه، فكان أهلاً للإمامة الكبرى بعد أبيه زين العابدين (سلام الله عليه).

بدأت طفولته عليه السلام، في غمرة جحيم الأحداث المتوالية ضد محبي أهل البيت، أمّا الحكم الأموي، فقد عانى عليه السلام منه الكثير. عاصر حكم يزيد، وشهد حكم عبد الملك والوليد وهشام ابنيه، كما رأى مسلك الحجّاج ابن يوسف، هذا الذئب من ذئاب جهنم، رأى الحصار الذي فرض على أبيه الجليل، رأى كيف كان الناس يتحرّكون بكامل حرّيتهم؛ فيقولون ما يشاؤون ويكتبون ما يشاؤون، إلاّ أهل بيت الرسول، فالحرّيّة محظورة عليهم، والناس لا يجرؤون على الاقتراب من بيت الإمام، أو سؤاله عن أيّ مسألة، دينيةٍ كانت أم غير ذلك، لا لشيءٍ، إلاّ لأنّ زين العابدين هو ابن الحسين وحفيد علي بن أبي طالب عليهم السلام. ورغم هذا التضييق الشديد فقد كان هناك رجال صدقٍ، لا يأبهون لأوامر الحكّام.

لقد كان الامام الباقر عليه السلام مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامي. وما زار المدينة احد إلا عرّج على بيته يأخذ من فضائله وعلومه، وكان يقصده كبار رجالات الفقه الاسلامي، كسفيان الثوري و أبي حنيفة. روى عنه معالم الدين؛ بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين. وأشار إلى مثل ذلك أحد كبار الرواة في ذلك العصر، وهو عبد الله بن عطاء، بقوله:"ما رأيت العلماء عند أحد، أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم بن عتيبة عنده –وهو شخصية علمية معروفة في ذلك العصر– مع جلالته في القوم بين يديه، كأنه صبي بين يدي معلّمه". ورغم تلك الظروف المأساوية أستطاع الإمام عليه السلام، ان يربي أعداد كثيرة من الفقهاء والعلماء

والمفسرين حيث كان المسلمون يقصدونه من شتى بقاع العالم الإسلامي وقد دانوا له بالفضل بشكل لانظير له، ولم يعش منعزلا عن احداث الساحة الإسلامية، وخاض الإمام الباقر عليه السلام صراعا مريرا ضد العقائد المنحرفة التي نشطت في عصره، وساهم بشكل ايجابي في توعية الجماهير ضد هذه الانحرافات الفكرية والعقائدية، وتحريك ضمائرها وسعى لرفع شأنها واحياء كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي كآبائه الكرام واجداده العظام ولم يقصر عنهم عبادة وتقوى وصبرا واخلاصا وجهادا وكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصره ولكل الاجيال التي تلته، فهذه الشخصية العظيمة يتشرف من يتناولها بالدرس والتحليل ولذلك عمد الباحثان الى تناول هذه الشخصية العظيمة باربعة محاور هي .

١- اخلاق الامام الباقر (عليه السلام).
٢- الامام ودوره في اصلاح الامة الاسلامية .
٣- الامام الباقر وحقيقة وجوده في كربلاء .
٤- الامام الباقر عند علماء السنة والمستشرقين .

وقد توصل الباحثان الى مجموعة من التوصيات وردت في نهاية البحث .

مقدمة :

بحرٌ من الفضائل، وشعلة من النور، وغصن من شجرة النبوة، فأنّى لأحد أن يكتب عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، بقر العلم وشقّه، وعرف أصله وفرعه وخفيّه، جمع الفقه والديانة والسؤدد ومكارم الأخلاق، فانحنت الخلافة بين يديه تواضعاً، وقــبّلت السيادةُ يديه تَشرُّفاً.

كان كوكباً متألّقاً يفيض على الدنيا بعطائه السيّال، ويمد البشرية بعلمه الزاخر، فاستنار الوجود بوجوده، واستضاء الكون من بحر جوده؛ فصار وهجاً وضاءً ينير طريق الأجيال، ويرسو بالأمة نحو رضى الربّ المتعال؛ لذا خلّدته الصحائف، بل خَلُدت الصحائف بذكره، وتشرّفت الأقلام بمدحه والثناء عليه.ــ فهو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب عليهم جميعاً سلام الله ورضوانه.

ــ أمُّهُ: أمّ عبد الله، فاطمة بنت الحسن (عليه السلام) كانت من سيدات النساء، يسمّيها الإمام زين العابدين الصدّيقة، وكان يقول عنها إمامنا الصادق (عليه السلام): «كانت صدّيقة، لم تُدرَك في آل الحسن امرأة مثلها.

ــ ولد (عليه السلام) بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة (٥٧ هــ)

ــ يكنى (عليه السلام) بأبي جعفر وأشهر ألقابه الباقر.

ـ تسلّم إمامة المسلمين عند وفاة أبيه زين العابدين في سنة (٩٥ هـ)، وكان له من العمر ثمان وثلاثون سنة.

ـ عاصر في أيام إمامته خمسة من حكام بني أميّة وهم: الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك.

ـ بذر الإمام الباقر (عليه السلام) النواة الأولى لبلورة ونشر الرسالة الإسلامية الحقّة المتمثلة في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)؛ فعقد في مسجد المدينة المنوّرة حلقات الدروس المختلفة في الفقه والتفسير والحديث وغيرها، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين.

وقد سمّي (عليه السلام) بالباقر لأنه بقر العلم أي شقّه وعرف أصله وخفيــّه.

ـ رحل إمامنا الباقر (عليه السلام) في سنة (١١٤ هـ).

ـ دفن (عليه السلام) في مقبرة البقيع في مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى جانب أبيه زين العابدين (عليه السلام) وعمّ أبيه الحسن بن علي (عليه السلام).

ونحن في لقائنا بأيّ إمام من أئمّة أهل البيت(ع) في حركة التأريخ، لا بدّ لنا من أن نحرّك تاريخهم، لا من جهة أننا نريد أن نغيب في الماضي لنستغرق فيه، فنحن قوم مسؤولون عن الحاضر وعن المستقبل، بمقدار ما نستطيع أن نتحمّل مسؤوليّة ما نصنعه من المستقبل، ولكنّ قصّة أهل البيت(ع) هي قصّة الإسلام، والإسلام ليس شيئاً يتأطَّر في التاريخ، ولكنّه ينفتح على الحياة كلّها، لأنّ الإسلام هو الرسالة التي أراد الله أن يحيينا بها، وأن يعطي الحياة لكلّ جيل بحسب ما تحتاجه الحياة في عناصرها كلّها، إن في الجانب الفكري أو في الجانب العملي. ولذلك، فإنّ استعادتنا لذكرى أهل البيت(ع)، هي استعادة لحركيّة الإسلام في حركتهم، من خلال المفاهيم الّتي طرحوها، مما لا يختلف فيه زمان عن زمان، ولا مكان عن مكان.

المحورالاول : اخلاق الإمام الباقر(عليه السلام).

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأمة.

حيث تميّز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة وفضائله النفسية والأخلاقية السامية ممّا جعل صورته صورة متميّزة من بين العظماء والمصلحين، كما تميّز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الإنسان.

ولقد احتاط النبي صلى الله عليه وآله كأشد ما يكون الاحتياط في شأن أمته، ولم يرض أن تكون في ذيل قافلة الأمم والشعوب، فقد أراد لها العزّة والكرامة، وأراد أن تكون خير أمة أخرجت

للناس، فأولى مسألة الخلافة والإمامة المزيد من اهتمامه، ونادى بها أكثر من أية قضية أخرى من القضايا الدينية لأنّها القاعدة الصلبة لتطور أية أُمة في مجالاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية، وقد خصّ بها الأئمة الطاهرين من أهل بيته الذين لم يخضعوا في أي حال من الأحوال لأية نزعة مادية، وإنما آثروا طاعة الله ومصلحة الأمة على كل شيء.

وكان الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام جامعاً للكمالات الإنسانية فيسيرته وسلوكه، فكان أهلاً للإمامة الكبرى بعد أبيه زين العابدين.[1]

وما دوّنته كتب التاريخ من فضائله الجمّة هي غيض من فيض، ونشير إلى شيء يسير منها تباع :

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي جعفر عليه السلام فقد أجمع المؤرخون على أنه لم يسيء إلى من ظلمه واعتدى عليه، وإنما كان يقابله بالبر والمعروف، ويعامله بالصفح والإحسان، وقد رووا صوراً كثيرة عن عظيم حلمه، كان منه[2] :

1-إن رجلاً كتابياً هاجم الإمام عليه السلام واعتدى عليه، وخاطبه بمرّ القول: "أنت بقر"!

فلطف به الإمام، وقابله ببسمات طافحة بالمروءة قائل: "لا أنا باقر"

وراح الرجل الكتابي يهاجم الإمام قائل: "أنت ابن الطبّاخة" !

فتبسّم الإمام، ولم يثره هذا الاعتداء بل قال له: "ذاك حرفتها."

ولم ينته الكتابي عن غيّه، وإنما راح يهاجم الإمام قائل: "أنت ابن السوداء الزنجية البذية"! ولم يغضب الإمام عليه السلام، وإنما قابله باللطف قائل: "إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك."

وبهت الكتابي، وانبهر من أخلاق الإمام عليه السلام التي ضارعت أخلاق الأنبياء.فأعلن إسلامه واختار طريق الحق.

ومن تلك الصور مارواه بن شهر آشوب في المناقب عن محمد بن سليمان:

إن ناصبياً شامياً كان يختلف إلى مجلس أبي جعفر (عليه السلام) ويقول له: طاعة الله في بغضكم، ولكني أراك رجلاً فصيحاً. قال أبو جعفر: لن تخفى على الله خافية. فمرض الشامي فلما ثقل قال لوليه: إذا أنت مددت عليّ الثوب فائت محمد بن علي وسله أن يصلي عليّ، قال: فلما أن كان في بعض الليل ظنوا أنه برد وسجّوه، فلما أن أصبح الناس خرج وليه إلى أبي جعفر، وحكى له ذلك فقال أبو جعفر: كلا إن بلاد الشام صرد، والحجاز بلاد حر، ولحمها شديد فانطلق فلا تعجلن على صاحبكم حتى آتيكم. قال: ثم قام من مجلسه فجدد وضوءاً، ثم عاد فصلى ركعتين، ثم مد يده تلقاء وجهه ما شاء الله ثم خر ساجداً حتى طلعت الشمس، ثم نهض فانتهى إلى مجلس الشامي فدخل

عليه فسقاه بسويق ودعا له، وقال: املأوا جوفه، وبردوا صدره بالطعام البارد، ثم انصرف وتبعه الشامي فقال: أشهد أنك حجة الله على خلقه، وما بدا لك؟ قال: أشهد أني عمدت بروحي وعاينت بعيني فلم يتفاجأني إلا ومنادٍ ينادي: ردوا إليه روحه فقد كنا سألنا ذلك محمد بن علي، فقال أبو جعفر: أما علمت أن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحب عمله، قال: فصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر.

وبعد ذكر هذه المناقب الباقرية وهذه السير النبوية ليس لنا إلا أن نعيد ما قاله الحاج علي محمد علي محمد دخيل فنقول: (لو أخذ المسلمون سيرة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) للعمل والتطبيق لحصلوا على أعظم مكسب في حقل التوجيه والأخلاق، ولسادوا الأمم ولامتدوا بالإسلام في أرجاء المعمورة، ولحققوا أعظم انتصار في الحق الداخلي والخارجي. فالبشرية لم تعهد بقادتها وموجهيها وعلمائها ومفكريها على مر العصور والأجيال بمثل هذه السير الغراء وعسى أن يرعوي المسلمون ويعودوا للطريق فيأخذوا من هذا المعين الصافي، والمنبع العذب.[٣]

إغناء الواقع الإسلاميّ:

والإمام الباقر(ع) هو الَّذي استطاع أن يغني الواقع الإسلاميّ في العمق وفي الامتداد، ذلك أنّ الظروف السياسيّة كانت تضغط بين وقت وآخر على هذا الإمام أو ذاك، فتمنعه من أن يبلّغ رسالته كاملة غير منقوصة، بفعل الاضطهاد الجسدي، والاضطهاد المعنوي، ومصادرة الحريات، وما إلى ذلك، ما منع بعض الأئمة(ع) من أن يزيدوا في عطائهم الإسلامي، فيما يتضمّنه الإسلام من عقائد وقضايا ومفاهيم ومناهج ووسائل وأهداف، فقد كانت مشكلتهم مع أكثر من حاكم في تلك المراحل، هي أنَّ هؤلاء الحاكمين كانوا يعرفون ما يملكه أئمَّة أهل البيت(ع) من غنى الفكر والرّوح والحركة، مما لو اطّلع النّاس عليه، لأقبلوا عليهم كما يقبل الظّامئ على الماء.[٤]

ولذلك، كانوا كالكثير من الحكّام في الماضي والحاضر، الذين يمنعون الإنسان من أن يفكّر بحريّة، ويمنعون المفكّر من أن يعلن عن فكره بحريّة، فهم يحاصرون الحريّة لأنهم يخافون منها ومن الفكر عندما يعبّر عن نفسه في مستوى قضايا الناس في العدالة والقوّة وما إلى ذلك؛ إنهم يخافون من الناس فيحاصرونهم، وهذه هي مسألة كلّ ظالم. وقد عبّر الإمام علي بن الحسين(ع) في بعض أدعيته عن هذه الحقيقة، وهي أنّ قضية الظالم ليست قضية قوّة يملكها، ولكنها قضية عقدة ضعف يعيشها، حيث يقول: "وقد علمت أنه ليس في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجلة، إنما يعجل من يخاف الفوت، ويحتاج إلى الظلم الضّعيف، وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علوّاً كبيراً"، فالظالم يخاف من المظلومين، فيظلمهم حتى لا يسقطوا موقعه في خطِّ ظلمه.

ولقد عاش الإمام الباقر(ع) في أواخر الحكم الأموي، وامتدّت حياته إلى نهايات هذا الحكم وبدايات الحكم العباسي، فكان الأمويون مشغولين عنه من أجل الحفاظ على ملكهم، كما انشغل العباسيون عن ابنه الإمام الصّادق(ع)، من أجل تأسيس ملكهم. ولذلك، اندفع الإمامان الباقر والصّادق(ع) ليغنيا الساحة الإسلاميّة بما وهبهما الله من علم. ونحن نقرأ في تراث الإمام الباقر(ع) وتراث ولده الإمام الصّادق(ع)، أنَّ علمهم هو من علم رسول الله(ص)، فالله أعطى رسوله علم ما أراد أن يبلّغه مما يحتاجه الناس، وهم قد أخذوا من رسول الله(ص) ذلك كلّه.

تراث غنيّ:

وعندما ندرس التراث الواسع الذي تركه الإمام محمد الباقر(ع)، نجد أن الإمام عاش فترة الحكم الأموي الذي لا يوافق على شرعيّته لأنّه هو الشرعيّة، ولكنه لم يكن سلبياً في الحالة التي تتعرّض فيها المصلحة الإسلاميّة للخطر، فعندما هدَّد الروم عبد الملك بن مروان بأنهم يصنعون طنافس، وعليها شعارات للديانة غير الإسلاميّة، منع من استيراد هذه الطنافس من بلاد الروم. والتاريخ يذكر كذلك قضيّة ضرب العملة الإسلامية، فلقد كان المسلمون يستعملون عملة الروم، فهدَّده ملك الروم بأن يضرب عملةً يسبّ فيها رسول الله(ص)، فحار عبد الملك في أمره، وقيل له أن يستشير الإمام محمد الباقر(ع)، فأشار عليه بأن يكون للمسلمين عملة إسلاميّة تتضمّن العناصر التي توحي بالشخصيّة الإسلاميّة للعملة، وطمأنه إلى أنَّ ملك الروم لن يجرؤ على أن يضرب عملة يسيء فيها إلى الرسول(ص)، وهكذا كان.[٥]

ونقرأ في تراث الإمام الباقر(ع)، أنه جلس مع عمر بن عبد العزيز ــ الخليفة في ذلك الوقت ــ وتحدّث معه بالموعظة والنصيحة اللّتين خطَّط له من خلالهما كيف يمارس حكمه، وحدّد له الخطوط العامة لشخصيّة المؤمن في رضاه وفي غضبه ومواقع قدرته، حتى اهتزّ عمر بن عبد العزيز ــ كما تقول السيرة ــ لهذه الموعظة، وأعلن ردّ فدك إلى أهل البيت(ع).

ونجد في تراثه(ع) كيف كان يحرّك الإعلام الشعري في تلك المرحلة، من خلال شاعر معروف آنذاك، وهو (الكميت بن زيد)، فأراد له ــ وقد استمع إلى مدحه لهم ــ أن ينظم قصيدة تساعد على إسقاط الحكم الأمويّ آنذاك، وهكذا كان.

أسلوب الإمام(ع):

أمّا كيف كان أسلوب الإمام(ع)، فهو أسلوب القرآن وأسلوب النبيّ(ص) وأسلوب الأئمة(ع)، الَّذي يهدف إلى تركيز المجتمع وبنائه على القاعدة الفكريّة الإسلاميّة، بحيث لا ينحرف المجتمع عن الخطّ الإسلاميّ الأصيل في غلّو هنا أو عداوة هناك، حتى في المسألة التي تتّصل بأهل البيت(ع)، حيث رأى أنَّ فرصة تسلّمه للحكم لم تكن واقعيّة آنذاك، ولكنه كان يرى أنَّ مسؤوليّته تقع في خارج

الحكم، وأنّ بناء المجتمع على قاعدة ثابتة منفتحة واسعة يوازي مسؤوليّته عندما يحكم. وهكذا كان الإمام عليّ(ع)، فلم يتوقّف عطاؤه عندما كان خارج الخلافة، لأنه كان يشعر بأنّه مسؤول عن الإسلام خارج الحكم، كما هو مسؤول عنه في داخل الحكم، لأنّ عليه أن يحفظ الإسلام: "فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم هذه، التي إنما هي متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السّراب، أو كما يتقشّع السّحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدّين وتنهنه".[٦]

مواجهة الغلوّ:

كما أراد الإمام الباقر(ع) أن يركّز القاعدة الفكريّة، وأن يخطّط للخطط العمليّة التفصيليّة في حركة القيم، من خلال علاقات المجتمع بنفسه، أو علاقاته ببعضه البعض، فنقرأ في البداية كيف كان يخاطب الشّيعة، فقد كان يخاف على التشيّع من أن يدخل في دائرة الغلوّ، انطلاقاً من أنّ الحبّ عندما يزداد، فإنه قد يتجاوز الحدود، ولذلك، أراد أن يركّز القاعدة على أساس التوازن الذي أراده الإسلام. فعن أبي جعفر(ع) (أي الباقر) قال: "يا معشر الشيعة ــ شيعة آل محمد ــ كونوا النمرقة الوسطى"، وهي الوسادة الصّغيرة التي يجلس عليها الإنسان بارتياح، فلا هي عالية، ولا هي منخفضة، "يرجع إليكم الغالي"، ليجد الاعتدال عندكم، "ويلحق بكم التالي". فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: "جعلت فداك من الغالي؟ قال: "قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا"، فقد يرتفعون بنا إلى ما يقترب من الخالق الّذي لا يقترب منه أحد، فهم ينسبون إلينا ــ ونحن المخلوقون ــ صفات الخالق، "فليس أولئك منّا ولسنا منهم"، قال: فما التالي؟ فقال(ع): "المرتاد، يريد الخير يبلغه الخير يؤجر عليه". ثم أقبل علينا فقال: "والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجّة، ولا نتقرّب إلى الله إلا بالطاعة".

فالطاعة هي التي يتقرّب بها الأنبياء إلى الله، لأنهم يؤدّون رسالته، ويتحرّكون في الحياة على أساس تجسيد الرسالة في أنفسهم وفي الناس. وهكذا الأولياء والأئمّة: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}. "فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا"، فالولاية قاعدة لقبول العمل، ولكنّها ترتكز على خطّ الإسلام والإيمان والتقوى، "ومن كان منكم عاصياً لله، لم تنفعه ولايتنا. ويحكم، لا تغترّوا! ويحكم، لا تغترّوا!".[٧]

وفي حديث آخر حدّث به الإمام(ع) جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: "والله، ما شيعتنا إلا من اتّقى الله وأطاعه، وكانوا يعرفون بالتّواضع، والتخشّع، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. أيكفي من ينتحل التّشيع أن يقول أحبّ علياً وأتولاه، ثم لا يكون فعّالاً، فرسول

الله خير من عليّ، أفحسب الرّجل أن يقول أحبّ رسول الله ثم لا يعمل بسنّته؟ من كان وليّاً لله، فهو لنا وليّ، ومن كان عدوّاً لله، فهو لنا عدوّ. والله ما تنال ولايتنا إلا بالورع".

هذا هو الخطّ الذي أراد الإمام الباقر(ع) أن يركّزه، بحيث يستقيم الناس عليه، حتى لا يكون التشيّع شيئاً زائداً عن الإسلام، بل ينطلق من عمقه، ويتحرّك في خطّه، وينفتح على الدعوة إلى الإسلام في كلّ ما قاله الله وما صدق الرّواة فيه عن رسول الله(ص).

ويقول(ع) في هذا السّياق لمحمد بن مسلم: "لا تذهب بكم المذاهب، فوالله، ما شيعتنا إلا من أطاع الله عزّ وجلّ"، لأننا نتحرك في خطّ طاعة الله، ولا نتحرّك بعيداً عن هذا الخطّ.

العلاقة بين المؤمنين:

وكان(ع) يؤكّد علاقة المؤمنين مع بعضهم البعض في المجتمع، بالدّرجة العليا الّتي يصبح فيها المجتمع كالجسد الواحد، فقد سأله بعض أصحابه، وهو سعيد بن الحسن، قال: "أيجيء أحدكم إلى أخيه، فيدخل يده في كيسه، فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ فقلت: ما أعرف ذلك فينا. فقال أبو جعفر(ع): فلا شيء إذاً"، أي أين إيمانكم إذاً؟ وأين الوحدة الإيمانيّة بين المؤمنين؟! وأين الجسد الواحد الّذي يمثّله المجتمع المؤمن؟! "قلت: فالهلاك إذاً. فقال: إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد"، أي لم تكتمل عقولهم بعد، ولا يزال إيمانهم غير ناضج، فهم بحاجة إلى تعميق للإيمان أكثر، وإلى وعي لمسؤوليّة الإيمان في العلاقة بين المؤمنين أكثر.[٨]

الأخلاق صلب الإيمان:

وكان(ع) يريد من المؤمنين أن يشعروا بأنّ قصّة الأخلاق تتصل بالإيمان اتصالاً وثيقاً، فمن حسنت أخلاقه كمل إيمانه، ومن ساءت أخلاقه كان إيمانه ناقصاً، فبمقدار ما تكون حسن الأخلاق أكثر، تكون مؤمناً أكثر، وهذا ما جاءت به الكلمة عن الإمام(ع): "إنّ أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً"، لأنّ الله يؤكّد الأخوة الإيمانيّة بين المؤمنين: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

ولذلك، فإنّ المسألة تفرض أن يعيش الإنسان امتداد الأخوّة في العلاقات، بكلّ العناصر التي تتمثّل فيها الأخوّة في إيجابية تعاطي الإنسان مع الإنسان الآخر، وحتى مع غير المؤمنين، فالله يصف عظمة الرّسول(ص) في أنه على خلق عظيم، وأنّه كان رقيق القلب لطيف اللّسان، وكان الرؤوف الرحيم، وكان الإنسان الّذي يتألّم لمن حوله إذا تألموا، وكان يحرص على من حوله عندما يسيرون في خطّ الضّياع.[٩]

مقابلة النّاس بالبسمة:

كان(ع) يحدّث الناس بذلك، وكان يريد للناس في المجتمع عندما يلتقون ببعضهم البعض، أن لا يكون لقاؤهم بوجه عابس أو كئيب، لأنّ وجهك في تقاطيعه الإيجابيّة أو السلبيّة، يترك تأثيراً إيجابياً أو سلبياً في الذي تلتقي به، فإذا كنت ضاحكاً، منبسطة أساريرك، فإنّ ذلك يمثّل إشراقةً تدخل قلب الذي تلتقيه، بحيث تشرق بسمته في قلبك قبل أن تشرق في عينيك. لذلك، كان من صفات رسول الله(ص)، أنّه كان لا يُرى إلا مبتسماً، وهذا ما تحدّث عنه (الفرزدق) في مدحه للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين(ع)، الّذي عاش العبادة كما لم يعشها أحد بعد رسول الله(ص) وأمير المؤمنين(ع):

يُغضِي حياء ويُغضَى من مهابته فلا يكلَّم إلا حين يبتسم

كان المبتسم دائماً، بل كان حتى في حزنه بذكرى كربلاء، وحزنه بين يدي الله، يبتسم في قلب الحزن بكربلاء، وفي قلب الخوف بين يدي الله، لأنّه كان يشعر بأنه في العمق من طاعة الله، وفي القرب القريب منه. لذلك، قال(ع) وهو يروي عن رسول الله(ص) قال: "أتى رسول الله رجل فقال: يا رسول الله، أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: ألق أخاك بوجه منبسط".[١٠]

صدق الحديث:

وكان يريد للنّاس أن يكونوا الصّادقين، كما كان يريد للمحدّثين الَّذين كانوا يقصدونه ليرووا الحديث عنه، أن يصدقوا فيما ينقلونه، وأن لا يكذّبوا، انطلاقاً من شهوة للفكرة الّتي يكذبون فيها، أو من خلال عقدة، أو أنّ الناس يرتاحون للكذب، كما يكذب البعض من المبلّغين والمرشدين عندما ينقلون أحاديث ليس لها أيّ أساس من الحقّ، لا لشيء إلا لأنّ الناس تحبّ الكذب فيما تحبّه وفيما تبغضه. ومن هنا، فقد كثر الكذّابة على رسول الله(ص)، وكثر الكذّابة على أئمَّة أهل البيت(ع). فعن عمرو بن أبي المقدام قال: "قال لي أبو جعفر(ع) في أوّل دخلة دخلت عليه: تعلّموا الصّدق قبل الحديث"، فقبل أن تصبح فقيهاً، أو خطيباً، أو واعظاً، أو مبلّغاً، أو سياسياً، أو شخصيَّة اجتماعيّة في حركة المجتمع، تعلّم أن تكون صادقاً، حتى تعطي الناس الصّدق، لأنك عندما تملك موقعاً يحترمه الناس، فإن خطورتك هي عندما تكون كاذباً أكثر، لأنّ كذبك سوف يكون محترماً عندهم، فيكون الفكر الذي يأخذون به، والحياة التي يحيونها.

وعن الربيع بن سعد قال: "قال لي أبو جعفر(ع): يا ربيع، إنّ الرّجل ليصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً"، فيحشره مع الصدّيقين. وأية درجة يبلغها الإنسان أعظم من درجة الصدّيقين؟! والقضيّة تحتاج إلى أن تكون صادقاً مع نفسك ومع ربك ومع الناس فيما تتحدّث به إليهم.[١١]

كظم الغيظ:

وكان(ع) يريد للناس، وهم يختلفون ويتنازعون عادةً، ويعيشون بعض النوازع النفسيّة السلبيّة ضدّ بعضهم البعض، أن لا يفجّروا غيظهم تجاه من اغتاظوا منه، وكان يريد للصّدر أن يتّسع، وأن يكون الإنسان حليماً عندما يواجه الغيظ ممن أغاضه، وكان يريد للإنسان ــ من خلال الخطّ القرآني ــ أن يسيطر على انفعالاته السلبيّة، فلا يدع انفعالاته تدفعه إلى كلمة سلبيّة قد يندم عليها، أو إلى عمل غير مسؤول قد يعيش التّأنيب عليه. وكان(ع) يقول: "من كظم غيظه وهو يقدر على إمضائه"، أي قادر على أن يفجّر بكلمة أو بضربة، أو يقوم بأيّ عمل يشفي فيه غيظه، "حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة". فلنتوازن بين هذا الانفعال الذي نعيشه عندما نكظم غيظاً، والأمن والإيمان الّذي يمنحنا إيّاه الله، ونحن في أشدّ الحاجة إليه، فعندما نريد الانحراف عن الخطّ الأخلاقيّ أو الخطّ الشرعيّ، فلنستحضر النتائج الذاتيّة التي نحصل عليها من خلال هذا الانحراف، والنتائج الكبرى التي نحصل عليها إذا امتنعنا عن ذلك. ولذلك، ترى القرآن يركّز دائماً على الآخرة وعلى يوم القيامة، حتى يدخل الإنسان في عمليّة مقارنة بين الدنيا والآخرة.[١٢]

خطّ الرّفق:

وكان يريد للنّاس في هذا الخطّ أن يعيشوا الرفق، ولا يعيشوا العنف، فعندما نعيش مشاكل كثيرة، ونحتاج إلى حلّ، فقد نستطيع أن نحلّها بالعنف، ونختصر الوقت في ذلك، وقد نستطيع أن نحلّها بالرفق واللّين والأسلوب السلمي، ولكنّ ذلك يحتاج إلى صبر ووقت. ولكنّ الإمام الباقر(ع) يقول: "إنّ الله عزّ وجلّ رفيق يحبّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف". فالرّفق صفة الله، والله يحبّ الرفق من عباده، ويحبّ الرّفقاء بالناس، وإذا كنت تريد أن تحلّ مشكلة يحبّ الله لك أن تحلّها، ويجزيك بالثواب عن حلّها، فإذا حللتها بالرفق، فإنَّ الله يعطيك من الثواب أكثر مما لو حللتها بالعنف، فعن أبي جعفر(ع) قال: "قال رسول الله(ص): إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولم يرفع عن شيء إلا شانه".[١٣]

قول الكلمة الحسنى:

وكان يريد للنّاس عندما يتحدَّثون مع الناس، ويطلقون كلماتهم، أن يفكّروا في الكلمة التي يتكلّمون بها مع الآخر؛ فهل أنت مستعد لأن يتكلّم الآخر معك بكلمة مماثلة؟ فكّر في الكلمة عندما تطلقها تجاه الآخر. إنّ الإمام(ع) يستوحي ذلك من آية قرآنيّة، قال في قول الله عزّ وجلّ {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا}: "قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم"، فكما تحبّ أن يخاطبك الناس خاطبهم، وقل الكلمة التي تحبّ أن يقولها الناس لك.[١٤]

من هو المسلم من وجهة نظر الامام الباقر (عليه السلام)؟

وكان الإمام الباقر(ع) يوازن بين العبادة والعطاء في حلّ مشكلة كلّ بيت من بيوت المسلمين، فلو أنك حججت الحجّ الواجب، وأحببت أن تحجّ حجّة مستحبّة، ولم تكن هناك مصلحة إسلاميّة كبرى في أن تحجّ حجّة مستحبة، ولكنّك تحبّ الثواب، وسمعت أن بيتاً من المسلمين يشكون الجوع والعوز، ودار الأمر بين أن تحجّ وأن تصرف هذا المال في سدّ جوع هؤلاء، وكسوة عورتهم، وما إلى ذلك، فأيّهما تفضّل؟ استمعوا إلى الإمام الباقر(ع) يقول: "ولأن أعول أهل بيت من المسلمين، أسدّ جوعتهم، وأكسو عورتهم، وأكفّ وجوههم عن الناس، أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة وحجّة، ومثلها ومثلها ــ حتى بلغ عشراً، ومثلها ومثلها ــ حتى بلغ السبعين"، فأنت تعطي مصرف الحجّ للفقراء، فيكون لك ثواب سبعين حجّة. فأيهما تفضّل؟

وعن سليمان بن خالد عن أبي جعفر(ع) قال: "قال أبو جعفر: يا سليمان، أتدري من المسلم؟ قلت: جعلت فداك، أنت أعلم، قال(ع): المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، فالإسلام في العمق لا يتمثّل في الكلمة، ولكنّه يتمثل في تأثير الشهادتين في حركتك في الواقع. "وتدري من المؤمن؟ قال: المؤمن من ائتمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم، والمسلم حرام على المسلم أن يظلمه، أو يخذله، أو يدفعه دفعة تعنته". أي توقعه في المشقّة والهلاك.

وقال في حديث عن رسول الله(ص) وهو يحدّد من هو المؤمن، وهو ما تحدّث به مع عمر بن عبد العزيز: "إنما المؤمن الّذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل". ليكن إيمانك معك عندما تحبّ، فلا ترفع من تحبّ إلى درجة لا يستحقّها، فتبالغ في مدحه، بحيث تظلم الحقيقة عندما تمدحه، "وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحقّ"، فلا تظلم عدوّك وخصمك في حديثك عنه عندما تتكلّم، بل تكلّم بالحقّ، حتى لو كان الحقّ على خلاف مزاجك، {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}، وقل الحقّ حتى لو كان مع عدوّك، فهذا هو الخلق الإسلامي الأساسي الّذي يحكم مسيرتنا الإسلاميّة، ونحن نريد أن نجسّد عدالة الإسلام حتّى مع أعدائنا. وإني لأقول دائماً لإخواني وأخواتي، اقرأوا أدعية الإمام زين العابدين(ع)، فهي برامج تثقيفيّة للخطوط الأخلاقيّة الإسلاميّة: "اللّهمّ وارزقني التحفّظ من الخطايا، والاحتراس من الزّلل، في حال الرّضا والغضب، حتى أكون بما يرد عليّ منهما بمنزلة سواء، عاملاً بطاعتك، مؤثراً لرضاك على ما سواها في الأولياء والأعداء، حتى يأمن عدوّي من ظلمي وجوري، ويييأس وليّي من ميلي وانحطاط هواي".[١٥]

ثم يقول الإمام الباقر(ع) في تتمّة الحديث عن المؤمن: "إذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعدّي وإلى ما ليس له بحقّ".

أنواع الظلم:

ويقول الباقر(ع): "الظّلم ثلاثة" ــ ونحن قوم نعيش الظلم لله وللنّاس ولأنفسنا ــ "ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظلم الذي لا يغفره فالشّرك، وأما الظلم الذي يغفره، فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأمّا الظلم الذي لا يدعه الله، فالمداينة بين العباد"، أي حقوقهم.

هكذا، كان الإمام الباقر(ع) يريد أن ينظّم للمجتمع علاقاته على أساس الإسلام، وينظّم للفرد أخلاقه على أساس الإسلام. فهل تستمعون إليه؟! يقول أمير المؤمنين(ع): "ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى ــ والإمام عليّ(ع) هو أبوهم وسيّدهم، وخطّهم خطّه ــ من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد".[١٦]

المبحث الثاني : الامام ودوره في اصلاح الامة الاسلامية .

تركّز عمل الإمام الباقر عليه السلام ونشاطه على إصلاح الواقع الفاسد والّذي كان يدور حول محورين أساسين:

١- محور الأمّة الإسلاميّة وهو محور النشاط العامّ.

٢- محور أتباع أهل البيت عليهم السلام وهو محور النشاط الخاصّ.

المحور الأوّل: النشاط العامّ

١- الإصلاح الفكريّ والعقائديّ:

بعد نشوء التيّارات السياسيّة والفكريّة المنحرفة تطلّب الأمر إصلاحاً فكريّاً وعقائديّاً يتراوح بين ردّ الشبهات والأفكار المنحرفة من جهة، وبيان البديل الصالح والفكر السليم من جهةٍ أخرى، وتمّ ذلك بأساليب عديدة، منها:

أ- المواجهة العلنيّة للحركات المنحرفة :فقد واجه الإمام عليه السلام حركة الغلاة الّتي نشطت بقيادة المغيرة بن سعيد العجلي، فكان يلعنهم أمام الناس، وحركة المرجئة الذين قال عليه السلام فيهم:

" اللّهم العن المرجئة فإنّهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة "، وحركة المفوّضة والمجبّرة.وكان عليه السلام يحذّر منهما بقوله" :إيّاك أن تقول بالتفويض فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهناً وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً."

وجرت بينه عليه السلام وبين أرباب الأديان والمذاهب مناظرات متعدّدة.

ب- محاسبة الفقهاء المخالفين :فحاسب أمثال أبي حنيفة لقوله بالقياس، وفي ذلك يقول محمّد أبو زهرة" 5:تتبيّن إمامة الباقر عليه السلام للعلماء، بمحاسبتهم على ما يبدو منهم، وكأنّه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادّة، وهم يقبلون طائعين تلك الرئاسة."[١٧]

ج- نشر حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام.

د- الدعوة إلى أخذ العلم من مصادره النقيّة، حيث حذّر عليه السلام من الإفتاء بالرأي وقال عليه السلام لبعض من سأله" :شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا."

2- الإصلاح السياسيّ:

استثمر الإمام عليه السلام بعض أجواء الانفراج السياسيّ النسبيّ لبناء وتوسعة القاعدة الشعبيّة، وتسليحها بالفكر السياسيّ السليم، وتجلّى دوره الإصلاحيّ في الممارسات التالية:

أ - الدعوة إلى تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :لكونهما يحرّران الإنسان والمجتمع من جميع ألوان الانحراف في الفكر والعاطفة والسلوك، يقول عليه السلام: "إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، وفريضة عظيمة بها تُقام الفرائض وتأمن المذاهب... وتُردّ المظالم وتعمر الأرض، ويُنتصف بها من الأعداء."

ب- نشر المفاهيم السياسيّة السليمة :وجّه الإمام عليه السلام الأنظار إلى دور أهل البيت عليهم السلام في قيادة الأمّة نحو الرشاد فقال" :نحن ولاة أمر الله وخزائن علم الله، وورثة وحي الله، وحملة كتاب الله، وطاعتنا فريضة، وحبّنا إيمان، وبغضنا كفر، محبّنا في الجنّة، ومبغضنا في النار ."وحذّر الأمّة من الابتعاد عن نهج أهل البيت عليهم السلام، وحثّ على نصرتهم عليهم السلام، وأكّد أنّ تولّي الإمام لمنصب الإمامة منحصر بالنصّ.

ج- الدعوة إلى مقاطعة الحكم القائم :فبالإضافة إلى كشف الإمام عليه السلام حقيقة الحكم الأمويّ، والجرائم الّتي ارتكبها بقوله ..." :وكان عِظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن، فقُتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي... ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين "، فقد دع عليه السلام إلى مقاطعة الحكم الجائر ونهى عن إسناده، فقال ــ في معرض جوابه عن العمل معهم ــ" :ولا مدّة قلم، إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينه مثله."

د- موقفه من الجهاد المسلّح :وقف الإمام عليه السلام موقف الحياد من الثورات الّتي قادها الخوارج، فلم يصدر عنه تأييد ولا معارضة. وفي عهده عليه السلام لم تنطلق أيّ ثورة علويّة لأنّه كان مشغولاً بتوسعة القاعدة الشعبيّة، لكي تنطلق فيما بعد لإكمال العدّة والعدد. وكان يوجّه

الأنظار إلى ثورة أخيه زيد الّتي ستنطلق في المستقبل، ويحذّر من خذلانه، فيقول" :إنّ أخي زيد بن عليّ خارج فمقتول على الحقّ، فالويل لمن خذله والويل لمن حاربه، والويل لمن قاتله."[١٨]

٣ -الإصلاح الاجتماعيّ والأخلاقيّ:

بذل الإمام الباقر عليه السلام عناية خاصّة لإصلاح أخلاق أبناء المجتمع الإسلاميّ بدءاً بالمقرّبين منه، ثمّ في سائر الأوساط الاجتماعيّة والمؤسسات الحكوميّة، وذلك عبر أساليب متعدّدة منها:

أ – توظيف السُنّة النبويّة لإيجاد التغيير :

لأنّها تتضمّن عناصر التغيير الأخلاقيّ والإصلاح الاجتماعيّ. ومن هنا أخذ الإمام عليه السلام يهتم بنشر الحديث الشريف محقّقاً بذلك هدفين مهمّين:

١ -كسر طوق الحظر الّذي كان قد فرضه الحكّام على أبناء الأمّة لإبعادها عن مصدري عزّتها وكمالها وهما سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الشريفة.

٢ -إيجاد عامل التغيير الأخلاقيّ معتمداً على تقديس الأمّة لنبيّها العظيم والتأسّي بأخلاقه. ومن أصول التغيير الأخلاقيّ الّذي اعتمده عليه السلام هو تغيير العناصر المؤثّرة في بناء المجتمع كما ورد في الحديث الشريف" :صنفان من أمّتي إذا صلحا صلحت أمّتي، وإذا فسدا فسدت أمّتي...

الفقهاء والأمراء"، ونشر الإمام عليه السلام المفاهيم الأخلاقيّة فأكّد على العفّة والحياء، وحُسْنِ الخلق وإدخال السرور على المؤمنين، وصلة الرحم وغيرها من المفاهيم الّتي برزت في أحاديثه وكلماته عليه السلام.

ولم يكتفِ عليه السلام بنشر الأحاديث الشريفة والدعوة إلى تجسيد محتواها في الواقع، وإنّما قام بأداء دور القدوة في ذلك. فكان عليه السلام يعالج الواقع الفاسد معالجة عمليّة من خلال سيرته الحسنة.

ب – الدعوة إلى اكتساب مكارم الأخلاق:

كثّف الإمام عليه السلام دعوته إلى إصلاح النفوس واكتساب مكارم الأخلاق لتكون العلامة الفارقة لتعامل المسلمين فيما بينهم، فكان عليه السلام يدعو إلى إفشاء السلام، وهو مظهر من مظاهر الإخاء والودّ والصفاء في العلاقات الاجتماعيّة، كما دع عليه السلام إلى تطهير اللسان فقال عليه السلام" :قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يُبغض اللّعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف. ويحبّ الحييّ الحليم، العفيف المتعفّف ."ودعا إلى الارتباط بأهل التقوى وتعميق أواصر العلاقات معهم. وأوضح عليه السلام حقوق المؤمن على

المؤمن، وحذّر من ظلم الآخرين أو الإعانة على ظلمهم، ودع عليه السلام إلى مقابلة الإساءة والقطيعة بالإحسان والصلة.

وهكذا نلاحظ تنوّع أساليب الإمام عليه السلام لإيجاد التغيير الأخلاقيّ في عامّة طبقات المجتمع.

٣- الإصلاح الاقتصاديّ:

لم يكن الإمام الباقر عليه السلام على رأس سلطة حتّى يستطيع إصلاح الأوضاع الاقتصاديّة إصلاحاً عمليّاً جذريّاً. ومن هنا اقتصر عليه السلام على نشر المفاهيم الإسلاميّة الصحيحة المرتبطة بالحياة الاقتصاديّة، والنظام الاقتصاديّ الإسلاميّ. وهنا نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام حدّد أوّلاً الأهداف المتوخّاة من التصرّف بالأموال، فهي وسيلة للتفرّغ إلى عبادة الله تعالى، فقال عليه السلام" :نِعْمَ العون الدنيا على طلب الآخرة ."[١٩]

وذكر عليه السلام مصاديق طلب الآخرة فقال" :من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس وتوسيعاً على أهله. لقي الله عزّ وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر." وأكّد على حرمة بعض التصرّفات الماليّة كالتطفيف في المكيال ، وقدّم عليه السلام مهمّة سدّ احتياجات المسلمين على أهمّ العبادات المستحبّة مثل الحجّ تطوّعاً، فقال" :لئن أحجّ حجّة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة – حتّى انتهى إلى سبعين – ولئن أعول أهل بيت من المسلمين؛ أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة حتّى انتهى إلى سبعين ."

ثمّ إنّه عليه السلام دعا إلى التعالي على الحرص والطمع، ووجّه الأنظار إلى الآثار السلبية لهما، وحثّ على القناعة لأنّها إحدى مقدّمات السعادة الروحية، ودعا إلى الاقتصاد والاعتدال في مختلف الظروف، وحذّر من الاعتداء على أموال الآخرين.

بناء قاعدة من أتباع أهل البيت عليهم السلام:

وهو عمليّة بناء الجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت عليهم السلام، حيث قام الإمام الباقر عليه السلام بنشاط كبير لتربية أجيال صالحة وتوعيتهم على حقائق الرسالة. وهذا ما يكشف عن التخطيط البعيد المدى الّذي حرص الإمام عليه السلام على تحقيقه لبثّ الوعي المطلوب في الأمّة. وتمثّلت حصيلة هذه التربية في كوكبة من أصحاب الإمام عليه السلام وعلى رأسهم: زرارة بن أعين، وأبو بصير الأسديّ، والفضيل بن يسار، ومحمّد بن مسلم الطائفيّ، وبرير بن معاوية العجليّ... وهؤلاء الطليعة المتقدّمة من أصحابه تلتها طبقة ثانية من صحابته مثل: حمران بن أعين، وإخوته، ومحمّد بن مروان الكوفيّ، وإسماعيل بن الفضل وآخرون .وتنوّعت توجّهات الجماعة

الصالحة، فمنهم الفقهاء ومنهم قادة الثورات ومنهم المصلحون الّذين كانوا يجوبون الأمصار لتعميق منهج أهل البيت عليهم السلامفي قلوب الناس.

أهمّ خصائص الجماعة الصالحة:

إنّ الأهداف الكبرى للجماعة الصالحة الّتي بناها الإمام الباقر عليه السلام تتلخّص في حفظ الشريعة الإسلاميّة من التحريف، والمحافظة على المجتمع الإسلاميّ. وهذا يتطلّب توفّر مواصفات خاصّة وبمستوى عالٍ في الجماعة الّتي يُرادتحقيقها، ويمكن أن نجمل هذه الخصائص والمواصفات فيما يلي:

١ -العقيدة الصحيحة والثقافة الإسلاميّة، فالعقيدة هي أساس أيّة حركة أصوليّة سليمة، وبمقدار قوّة العقيدة ووضوحها وانسجامها مع الركائز النظريّة للإنسان يكون النجاح والثبات والاستمرار والتطوّر مضموناً لأصحابها. ولهذا حرص أهل البيت عليهم السلام على بيان معالم العقيدة السليمة وإعطاء تفاصيلها إلى أتباعهم باستمرار، ونلمس ذلك في التراث الّذي حفظه لنا أتباعهم، وهو ثروة كبرى في هذا المضمار.[٢٠]

٢ -الرجوع إلى أهل بيت الوحي عليهم السلام :في معرفة الدِّين وفهم تفاصيل الشريعة وحقائق الرسالة والولاء السياسيّ والفكريّ لهم. وقد تميّز أتباع أهل البيت بهذه الصفة فإنّهم لا يتعدّون نصوص وتراث أهل البيت عليهم السلام الغني كلّ الغنى في هذا الجانب؛ فإنّ أهمّ ما عكف عليه أهل البيت عليهم السلام إلى جانب كلّ نشاطاتهم الاجتماعيّة والفرديّة هو بيان ضرورة رجوع الأمّة إليهم لمعرفة الدين. وقد أعلنوا ذلك ضمن احتجاجهم على علماء سائر فرق المسلمين، وأمام أعين الخلفاء وطلّاب الحقيقة، يقول الإمام الباقر عليه السلام" :والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضّة إلّا على علمه."

وعنه عليه السلام قال" :إنّ العلم الّذي نزل مع آدم عليه السلام لم يُرفع، والعلم يُتوارث، وكان عليّ عليه السلام عالم هذه الأمّة وإنّه لم يهلك منّا عالم قطّ إلّا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله."

٣ -الاتّصاف بدرجةٍ عُليا من الكمالات النفسيّة والعمليّة :اهتمّ أهل البيت عليهم السلام بتربية أتباعهم تربية تجعلهم في مستوى رفيع من الكمالات بحيث تجعلهم في مستوى القدوة الحسنة للآخرين، حتّى عُرف شيعة أهل البيت بهذه الميزة على مدى القرون والأجيال.قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر بعد بيانه لكيفية تقييم الإنسان الشيعيّ لنفسه

بشكل دائم، ذاكراً خصائص ومميّزات هذا المسلم" :وما كانوا يُعرفون – يا جابر – إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء

وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء."

منهج الإمام عليه السلام في تربية شيعته وتزكيتهم .

اعتبر الإمام الباقر عليه السلام أنّ الجهاد الأكبر هو جهاد النفس، وكلّ جهاد سواه يُعدّ إلى جانبه جهاداً أصغر منه لأنّه جهاد على مدى العمر، وفي كلِّ زمان ومكان لا يكاد يفارق الإنسان حتّى يتسامى على كلّ الشهوات والنزوات. ومن هنا ركّز الإمام عليه السلام على أهمّ المقوّمات الّتي تدفع النفس للتزكية ومنها[٢١]:

١-استشعار الرقابة الإلهيّة :فلا تتمّ التزكية إلّا باستشعار الرقابة الإلهية في العقل والضمير والوجدان، والإحساس بأنّ الله تعالى محيط بالإنسان يُحصي عليه حركاته وسكناته. وفي موعظته عليه السلام لبعض شيعته" :ويلك... كلّما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه، فارتكبته كأنّك لست بعين الله أو كأنّ الله ليس لك بالمرصاد"

٢-التوجّه إلى اليوم الآخر :وجّه الإمام عليه السلام الجماعة الصالحة إلى ذلك اليوم ليجعلوه نصب أعينهم وليكون حافزاً لهم لإصلاح النفس وتزكيتها. وممّا جاء في موعظته لجماعة منهم ." :يا طالب الجنّة ما أطول نومك وأكلَّ مطيّتك، وأوهى همّتك، فلله أنت من طالب ومطلوب.".

٣-تحكيم العقل :فالله تعالى خلق الإنسان مزوّداً بعقل وشهوة، ومنحه سبل الهداية من خلال البيّنات والحقائق الثابتة. ولهذا ركّز الإمام عليه السلام على تحكيم العقل على جميع الرغبات والشهوات، وأنّه لا بدّ أن يكون للإنسان واعظ من نفسه ليقوم بتزكيتها، فقال عليه السلام" :من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً."

الإمام الباقر عليه السلام وبناء المؤسّسات الثقافيّة

كان للإمام الباقر عليه السلام دور كبير في تشييد وتوسيع المؤسّسات الثقافيّة الإسلاميّة، الّتي تنهج نهج أهل البيت عليهم السلام في نشر العلم والمعرفة. وكان له عليه السلام دورٌ رئيس في بناء وتأسيس مدرسة المدينة، حيث ازدهرت في أيّامه وإلى آخر أيّام الإمام الصادق عليه السلام قبل أن تنتقل إلى الكوفة ومن بعدها إلى قمّ. وقد انتظمت الحلقات الدراسيّة، وكان بيته عليه السلام جامعةً يزدحم فيها طلّاب العلوم وحملة الحديث، ينهلون من معينه الّذي لا ينضب.[٢٢]

الإمام الباقر عليه السلام وإحياء الروح الثورية

كان لثورة الإمام الحسين عليه السلام دور كبير في إحياء الروح الثوريّة، وإلهاب الحماس في العقول والقلوب والإرادة، لمقاومة الظالمين. ولهذا أكّد الإمام الباقر عليه السلام على جعل الثورة

حيّة تمنح الناس طاقة ثوريّة لخوض المواجهة في دقّتها وظرفها المناسب. وتجسّد إحياؤه للروح الثورية في مظهرين:

١ -إقامة الشعائر الحسينيّة :فكان عليه السلام يقوم بنفسه بإحياء الشعائر الحسينيّة من خلال إقامة مجالس العزاء الحسينيّ في منزله. وبهذا الأسلوب العملي كان يحثّ شيعته وأتباعه على إقامة مجالس العزاء.وشجّع عليه السلام على ظاهرة البكاء لمصاب جدّه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأحرار وذلك من أجل أن تتجذّر الرابطة العاطفية به عليه السلام. وحثّ على زيارة قبر الحسين عليه السلام بهدف تعميق الارتباط به فكراً ومنهجاً واستلهام روح الثورة منه، ومعاهدته على الاستمرار على نهجه.

٢-إنشاد الشعر في الإمام الحسين عليه السلام :حيث كان عليه السلام يشجّع على قول الشعر في الإمام الحسين عليه السلام لما في ذلك من إبقاء لمظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام في الوجدان، وتخليد لذكرى مصاب أهل البيت عليهم السلام.

الإمام (عليه السلام) ونشره لقضية الإمام المهديّ(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

إنّ الصراع بين الإسلام والجاهليّة، وبين الحقّ والباطل، لا ينتهي ما دام كلّ منهما موجوداً وله كيان وقيادة وأنصار. ويستمر الصراع إلى أن ينتصر الحقّ على الباطل في نهاية الشوط. ويمثّل ظهور الإمام المهديّعجل الله تعالى فرجه الشريف آخر حلقة من سلسلة الصراع حيث يختفي الباطل ولا يبقى له وجود وكيان مستقلّ.[٢٣]

وانتظار الإمامعجل الله تعالى فرجه الشريف هو حركة إيجابيّة تتطلّب تعبئة الأفكار والطاقات للاشتراك في عمليّة الخلاص والإنقاذ.

وقد أكّد الأئمّة عليهم السلامعلى هذه الحقيقة ومنهم الإمام الباقر عليه السلام لكي تتعمّق في العقول والنفوس، قال عليه السلام" :إنّما نجومكم كنجوم السماء كلّما غاب نجم طلع نجم حتّى إذا أشرتم بأصابعكم، وملتم بحواجبكم غيَّب الله عنكم نجمكم، واستوت بنو عبد المطّلب فما يُعرف أيٌّ من أيّ فإذا طلع نجمكم، فاحمدوا ربّكم." وجعل قيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من المحتوم حين قال" :من المحتوم الّذي حتمه الله قيام قائمنا ."وكان عليه السلام يُهيّىء الأذهان للتعبئة إلى ذلك اليوم ويقول" :إذا قام قائمنا وظهر مهديّنا كان الرجل أجرأ من ليث، وأمضى من سنان . "وبهذا كان الإمام عليه السلام يُحيي الأمل بانتصار الحقّ وأفول الباطل. ويكون هذا الأمل عاملاً للانتظار الإيجابيّ البنّاء، انتظاراً يتضمّن الاستعداد الدائم والمستمرّ للنهوض تحت راية الحقّ.

المحور الثالث : حقيقة وجود الإمام الباقر عليه السَّلام في كربلاء .

يصرّ جماعة من المؤرِّخين أنّ الإمام الباقر عليه السَّلام كان موجوداً يوم شهادة جدّه الإمام الحسين عليه السَّلام، مستدِلِّين على ذلك بوجهين:

الوجه الأوّل :جمودهم على تحديد عام ولادته عليه السَّلام على أقوال منها: سنة سبع وخمسين.ومنها: سنة ثمان وخمسين ومنها: سنة ست وخمسين.ومنها: سنة تسع وخمسين.

الوجه الثاني :ما جاء في الفقيه عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال لزرارة حينما سأله: قد أدركتَ الإمام الحسين عليه السلام؟ قال عليه السَّلام: نعم أذكر وأنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السيل.

أمّا الوجه الأوّل، فلا يصلح أنْ يكون مستَنَداً على المدَّعى، وذلك أنّ جميع هذه الأخبار ضعاف ومراسيل سوى رواية زرارة، ولا حجية في الضعاف والمراسيل إلاَّ ما كان مؤيداً بالقرائن، مضافاً إلى أنّ تلكم الأخبار لم تُروَ عن المعصوم عليه السَّلام، وإنما هي أقوالٌ لمؤرِّخِين ذَكَرُوها في كُتُبِهِم وأخذوها أَخْذَ المسلَّمَات.

نعم بحسب رواية زرارة يكون الإمام الباقر عليه السَّلام مولوداً في حياة الإمام الحسين عليه السلام ممّا يستلزم بالضرورة إدراكه لواقعة كربلاء على صاحبها آلاف التحية والإكرام، ويكون عمره تقريباً حدود ٢٣عاماً مقارنةً مع عام دخول السيل إلى المسجد الحرام، ولو سلَّمْنَا جَدَلاً بصحّة خبر زرارة فكيف يمكن لأصحاب الدعوى المذكورة أنْ يجمعوا ويوفِّقُوا بينه وبين ما رُوِيَ من أنّ الإمام زين العابدين عليه السَّلام كان صبيّاً يوم واقعة كربلاء؟ وهَل يُرْزَق الصبي صبيّاً مثله؟!!

فإذا كان الإمام زين العابدين عليه السلام صبيّاً يوم الطف فإنّه يستلزم أنْ يكون عمره دون الخامسة عشرة، فإذا كان عمر الإمام الباقر عليه السلام يومذاك أربع سنين، يكون عمر الإمام السّجّاد عليه السلام يومَ تَزَوَّجَ تسع سنين، وهو سِنٌّ قاصرٌ تكويناً عن إنجاب الأطفال وممارسة الجماع، لا سيّما وأنّ العُرْفَ يستهجن هكذا زواج صدر من أناسٍ طَهَّرَهم الله تعالى في محكَم كتابه العزيز، فهل يُتَصوَّر أنْ يخرجوا عليهم السَّلام عن السِّيرة العقلائيّة بزواجهم في سِنٍّ مبكرٍ لم يسبقهم إلى ذلك سابق على وجه البسيطة؟!

إنْ قيل: إنّ تَدَخُّلَ الغَيْب في أمر تزويجه حال كونه صغيراً كافٍ في دفع ما ذَكَرْتَ آنفاً.

قلنا :إنّا لا ننكر المعجزات أصلاً، إلاّ أنّ شيئاً من هذا لم تذكره الأخبار، وليس ثمّة داعٍ ـــ بحسب الظاهر ـــ لحصوله، لا سيّما وأنّ للإعجاز شروطاً ومواصفات لا ينطبق واحدٌ منها على المقام.

وبالجملة :فإنّ خبر زرارة يتعارض مع الأخبار الأخرى الدالة على أنّ زين العباد والعابدين مولانا

الإمام السجّاد عليه السَّلام كان صغيراً يوم الطف، ولا يمكن تساقط تلكم الأخبار كلّها معاً، فلا بدّ حينئذٍ لترجيح إحداها على الأخرى من مرَجِّحٍ، وحيث لا مُرَجِّح لخبر زرارة على غيره من أخبار الطائفة الثانية، وذلك لتكافؤ الطائفتين على أقلّ تقدير، وحيث إنّ قاعدة التعارض تقتضي التوقُّف في المتكافئين ما لم يحصل المرَجِّح، وحيث لا مرَجِّحَ لثبوت ما رُوِيَ من أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان موجوداً، فالأصل يقتضي ــ عند الشكّ بوجوده عليه السَّلام في حياة الإمام الحسين عليه السَّلام ــ هو العدم.

تقرير ذلك :إنّ خبر زرارة يدلّ على أنّ السيل دخل المسجد الحرام عام ٣٩هــ، مما يقتضي القول أنّ عمر الإمام الباقر عليه السلام يومذاك كان حدود ثلاث أو أربع سنين، ويوم كربلاء يكون عمره (بحسب رواية زرارة الدالة على أنه عليه السَّلام رأى الإمام الحسين عليه السلام يوم مسيل المسجد الحرام عام ٣٩هــ) إثنين وعشرين سنة؛ أي أننا نحسب من تاريخ ٣٩هــ يوم رؤيته للإمام الحسين في المسجد الحرام، إلى تاريخ شهادة جدّة الإمام الحسين عليه السلام عام ٦١هــ، فالمجموع ٢٢ وأكثر، أي ما يقارب ٢٤ عاماً، باعتبار كونه إبن سنتين على أقلّ تقدير، وإلاّ فإنّ من البعيد لإبن سنة واحدة أنْ يميِّزَ الأشياء الخارجية إلاّ على نحو الكرامة كما هو حاصل للأئمّة ومنهم الإمام محمّد الباقر عليه السَّلام[٢٤].

والنتيجة :كيف يكون عمره عليه السَّلام أربع سنين كما هو مفاد تلكم الأخبار التي استدلوا بها على المدَّعى، مؤكِّدِين لخبر زرارة الدال على أنه عليه السَّلام رأى جَدَّهُ الإمام الحسين عليه السَّلام يوم مسيل المسجد الحرام في عام٣٩هــ، أليس الفارق الزمني بين ٣٩هــ إلى ٦١هــ هو ٢١عاماً مضافةً إلى سنة واحدة أو سنتين فترة تمييزه لجدّه الإمام الحسين الشهيد عليه السَّلام؟!

فكيف يكون عمره ٢٢سنة أو أكثر، ثم تؤكِّد الأقوال على أنّ عمره عليه السَّلام يوم كربلاء أربع سنين؟! فإمّا أنْ يُسقِطُوا رواية زرارة عن الحجية وهي ساقطة قطعاً؛ لأنّ مَن كان عمره ٢٢ سنة لا يصدق عليه أنه ولد، ولكان ثمّة مبرِّر لعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وأضرابهما لعنهم الله تعالى لقتل الإمام الباقر عليه السَّلام لكونه شاباً في عنفوان شبابه، وعليه، فيتعيَّن عليهم أنْ يأخذوا بالأقوال الأخرى الدالة على ولادته عام ست وخمسين وسبع وخمسين وثمان وخمسين، وحيث إنها أقوال لمؤرخين لا نعرف من أين جاءوا بها وعن أيّ معصوم نقلوها، سوى أنهم قلّدوا بعضهم في هذه المسألة، فالقاعدة تقتضي حينئذٍ تساقط كلّ هذه الأقوال من أساسها، والرّجوع إلى القاعدة الأصليّة وهي أنّ الأصل عدم وجوده حال حياة جدّه الإمام الحسين عليه السَّلام، حتى يأتينا دليل قاطع يدلّ على الوجود، وهو مفقودٌ في البَيْن، فتأمَّلْ.

فالصحيح ما جاءت به الأخبار الأخرى التي يشتَشَفُّ منها أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام

كان صغيراً في كربلاء ولو فَرَضْنا كونه شاباً فلا يستلزم ذلك وجود الإمام الباقر عليه السَّلام على قيد الحياة.

من هذه الأخبار ما رواه لوط بن يحيى الملَقَّب بـــ"إبي مخنف" وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السَّلام ووَثَّقَهُ علماء الرِّجال وسكنوا إلى روايته، ففي مو اضع متفرِّقَة من كتابه عُبِّرَ عن الإمام زين العابدين عليه السلام بالغلام والصبي مما يعني أنّه لم يكن شاباً، فكيف يكون له ولد؟ من هذه المواضع:

١ــ لمّا احتَجَّتْ مولاتنا زينب عليها السَّلام على عبيد الله بن زياد لعنه الله تعالى "فغار الإمام زين العابدين عليه السَّلام على عمّته فقال: يا ابن زياد إلى كم تهتك عمتي وتعرفها لمَن لا يعرفها؟ فغضب إبن زياد لعنه الله من كلامه وقال لبعض حجّابه: خذ هذا الغلام واضربْ عنقه"

فالغلام وإنْ كان مفهوماً عاماً ينطبق على الصغير والكبير كما ذكر أصل اللغة إلاّ أنه في هذا الموضع يُحْمَل على الصغير بقرينة ما بعده من الأخبار.

٢ــ غضب يزيد لعنه الله تعالى على الإمام السجاد عليه السَّلام وقال: "يا غلام كأنّكَ تعرِّض بنا وأمر بضرب عنقه".

٣ــ "فتصارخنَ النساء وبكين حوله ــ أي حول الإمام السجاد عليه السَّلام ــ وقالت مولاتنا أمّ كلثوم عليها السَّلام: يا يزيد لقد أرويتَ الأرض من دمائنا ولم يبقَ غير هذا الصبي، وتَعَلَّقَتْ به النساء جميعاً وهنّ يندبْنَ: وا قلّة رجالاه تقتل الأكابر من رجالنا، وتأسر النساء منّا، ولا ترفع سيفكَ عن الأصاغر..."

٤ــ لمّا خطب الإمام زين العابدين عليه السَّلام في مجلسه، فَعَلَت الأصوات من كلّ جانب بالبكاء والنحيب، فخشي يزيد الفتنة وقال للذي أصعده المنبر: ويحك أردتَ بصعوده زوال ملكي؟ فقال: والله ما عَلِمْتُ أنّ هذا الغلام يتكلّم بمثل هذا الكلام..".

٥ــ لمّا بقي الإمام الحسين عليه السلام وحيداً، إلتَفَتَ عن يمينه فلم يرَ أحداً من الرِّجال، والتَفَتَ عن يساره فلم يرَ أحداً فخرج الإمام السجاد عليه السلام وكان مريضاً لا يقدر أنْ يحمل سيفه، وأمّ كلثوم تنادي خلفه: يا بنيّ إرْجِعْ، فقال: يا عمّتاه ذريني أقاتل بين يَدَي ابن رسول الله، فقال الإمام الحسين عليه السَّلام: يا أمّ كلثوم خذيه لئلاّ تبقى الأرض خالية من نسل آل محمّد".

وفي رواية: نهض الإمام السجاد عليه السلام يتوكأ على عصا ويجرّ سيفه لأنه مريض لا يستطيع الحركة فصاح الإمام الحسين عليه السلام بأمّ كلثوم عليها السلام: إحْبِسِيْهِ لئلاّ تخلو الأرض من نسل آل محمّد، فأرجَعَتْهُ إلى فراشه..."

ومعلوم بالبداهة أنه لو كان الإمام الباقر عليه السَّلام حيّاً يومذاك واستشهد الإمام السجاد عليه السَّلام لَمَا بَقِيَت الأرض خالية من نسل آل محمّد صلّى الله عليه وآله.

هذه أهم القرائن الدالة على كون الإمام السجاد عليه السلام صبياً يوم شهادة أبيه، وبالتالي لا يصحّ نسبة الزواج إليه، ومن ثمّ إنجاب طفل[٢٥] .

مضافاً إلى أنّ الإمام السجاد عليه السَّلام استشهد وعمره ٥٧ عاماً على مبنى مشهور المؤرِّخِين، وبكى على أبيه الإمام الحسين عليه السَّلام ٤٠عاماً، فلو طرحنا الأربعين من العدد ٥٧، يكون الحاصل ١٧ عاماً، وهو مجموع عمره يوم الطف، ونطرح من ١٧ مجموع عمر الإمام السجاد عليه السَّلام أربعة هي عمر الإمام الباقر عليه السلام يوم الطف، فيكون عمر الإمام السجّاد عليه السلام ١٣ سنة يوم تزوج، ثم نطرح سنة واحدة فترة حمل زوجته بالإمام الباقر عليه السَّلام، فيكون عمره ١٢ عاماً، وهذا وإنْ لم يكن مستحيلاً عقلاً إلاّ أنّه بعيد وقوعاً لأمور:

الأمر الأوّل: لخروج الزواج بهذا السنّ عن المألوف في الأوساط الرجالية في جزيرة العرب بشكل خاص وفي غيرها بشكل عام، مع التأكيد على أنّ هكذا زواج بسنٍّ مبكرٍ لم يُعْهَد من أحدٍ من الأئمّة عليهم السَّلام على الإطلاق[٢٦].

الأمر الثاني: القرائن التي قَدَّمْنا قسماً منها والتي دَلَّتْ على كون الإمام السجّاد عليه السَّلام يوم الطف صبياً، فلا يُعْقَل أنْ يكون له ولدٌ عمره أربع سنين.

الأمر الثالث: دلالة بعض الأقوال على أنّ عمر الإمام الباقر عليه السلام يومذاك ١٥ سنة(٨)، وهو عليه السَّلام لو كان بهذا العمر لأدّى إلى قتله لكونه بهذا العمر في سنّ الرِّجال، والأعداء لم يتركوا رجلاً من آل البيت في الطف، مضافاً إلى أنّ الزيديّة يعتقدون أنّ الإمام السجاد عليه السلام كان عمره يومذاك سبع سنين.

وبهذا يتضح أنّه لا أساس لدعوى وجود الإمام الباقر عليه السَّلام في حياة جدّه الإمام الحسين عليه السَّلام.

فما ذَكَرَهُ هؤلاء العلماء رحم الله الماضِين وحفظ الباقين لم يبتنِ على أساسٍ صحيحٍ، بل كان عن تقليدٍ وليس عن اجتهادٍ وتحقيق .[٢٧]

الخلاصة:

إنه ليس ثمة نصوص قطعية تثبت حياة الإمام الباقر عليه السلام زمن جدّه الإمام الحسين عليه السَّلام. ودعوى ولادته قبل عام الستين للهجرة مجرَّد أقوال لمؤرخين وليست نصوصاً شرعية يمكن الإعتماد عليها، ورواية زرارة ساقطمة من أساسها لدعواها أنّ عمر الإمام الباقر عليه السلام كان يومذاك فوق ٢٢سنة وهو بهذا السن يكاد يكون وجوده مستحيلاً عادةً في كربلاء؛ لأنّ الأخبار أشارت إلى أنه لم يبقَ من رجال أهل البيت عليهم السَّلام أحدٌ سوى الأطفال والإمام زين العابدين عليه السلام وبعض أولاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ولو فرضنا وجود الإمام الباقر عليه السلام في المدينة دون كربلاء إلاّ أنه افتراضٌ بعيدٌ أيضاً لعدم وجود خبر يدلّ على ذلك اصلاً، فكيف يجوز حينئذٍ أن ننسب الوجود إليه في حياة جدّه الإمام الحسين عليه السلام؟!

ولو افترضنا ايضاً أنّ تواريخ ولادة الإمام الباقر عليه السلام صحيحة ولكنها تتعارض مع الأخبار الأخرى التي رواها أبو مخنف وغيره من المؤرِّخين. وعند التعارض نقدِّم الأخبار الأخرى على تلك التواريخ المشوَّشة والمضطربة والتي لا يمكن ترجيح واحد منها على الآخر، وهي في الواقع إخبارات لمؤرِّخين، وليست إخباراتٍ للمعصومين عليهم السَّلام.

المحور الرابع : الامام الباقر عند علماء السنة والمستشرقين :

نستعرض فيما يلي جانباً من كلمات علماء، وأعلام أهل السنّة، وهي تشيد بمقام الإمام الباقر (عليه السلام)، وتبيّن جلالة قدره وعظمَ منزلته:

ــ محمد بن سعد الزهري (ت: ٢٣٠ هــ) .

قال عن الإمام الباقر (عليه السلام): «محمّد من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة، كان عابداً عالماً ثقة«وقال أيضاً: «كان ثقة كثير الحديث«

ــ الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هــ).

علّق الإمام أحمد بن حنبل على سندٍ فيه الإمام علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن الرسول الأكرم صلوات الله عليهم أجمعين قائلاً: «لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته«

ــ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٠ هــ).

قال عن الإمام الباقر (عليه السلام) في «رسائله» عند ذكره الرد عمّا فخرت به بنو أميّة على بني هشم ما نصّه: «... وهو سيد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه، وهو الملقّب

بالباقر، باقر العلم، لقّبه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يُخلَق بعد، وبشّر به ووعد جابر بن عبد الله برؤيته، وقال: ستراه طفلاً، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه، وقال له ما وصّى به«، كما أنّه مدح عشرة من أئمة أهل البيت ومن ضمنهم الإمام الباقر (عليه السلام) في كلام واحد فقال: «ومَنِ الذي يُعَدُّ مِن قريش أو من غيرهم ما يَعُدُّه الطالبيون عشرة في نَسَق، كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاكٍ، فمنهم خلفاء، ومنهم مرشّحون: ابن ابن ابن ابن. هكذا إلى عشرة وهم الحسن [العسكري] بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد [الباقر] بن علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام)، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من بيوت العجم

.)ــ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٠ هـــ

قال في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: «ومنهم الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوّة وممن جمع حسب الدين والأبوّة، تكلّم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات«

ــ الفخر الرازي (ت: ٦٠٤ هـــ).

قال عند تفسيره لمعنى الكوثر: «والقول الثالث الكوثر أولاده....فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت ثُم العالم

ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام)).[٢٨]«...(

ــ محمد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢ هـــ).

قال في «مطالب السؤول»: «هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق درّه وواضعه، ومنمّق درّه وراضعهصفا قلبه، وزكا عمله، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف، وطهارة الاجتباء، فالمناقب تسبق إليه، والصفات تشرف به«

ــ سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤ هـــ).

قال في «تذكرة الخواص»: «هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب... وإنّما سمي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته أي فتحها ووسّعها، وقيل لغزارة علمه.

قال الجوهري في «الصحاح» التبقّر: التوسّع في العلم، قال: وكان يُقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) الباقر، لتبقّره في العلم ويسمّى الشاكر والهادي

وقال ابن سعد: محمد من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة. كان عالماً

روى عنه الأئمة: أبو حنيفة وغيره

قال عطاء :ما رأيت العلماء عند أحدٍ أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحَكَم عنده كأنه مغلوب، ويعني بالحَكَم الحَكَم بن عُيينة وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه«

.)ــ ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٥ هــ

نقل في «شرح نهج البلاغة» نصّ ما تقدم ذكره من كلام الجاحظ مقرّاً له على ذلك

ــ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: ٦٧١هــ).

قال في تفسيره عند تعرّضه للآية } إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً» :{..بقرة» البقرة اسم للأنثى، والثور اسم للذكر، مثل ناقة وجمل وامرأة ورجل... وأصله من قولك: بقرَ بطنه، أي شقّه، فالبقرة تشقُّ الأرض بالحرث وتثيره، ومنه الباقر لأبي جعفر محمد بن علي زين العابدين، لأنه بقرَ العلم وعرف أصله، أي شقّه .[٢٩]

المستشرقة الرزينة لالاني ودراستها عن الإمام الباقر (ع)

حصلت هذه المستشرقة على شهادة الدكتوراه عام ١٩٨٨، من قسم الدراسات العربية والشرق أوسطية في جامعة إدنبرة عن اطروحتها حول الإمام الباقر(ع) والموسومة بـــ(الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر (ع)) وكان المشرف على هذه الأطروحة الدكتور ايان هوارد، والدكتورة لالاني من الباحثات في معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، وحاز عملها هذا على جوائز عديدة في لندن وإيران وتُرجِمَ إلى لغات متعددة ومنها العربية. إذ قام سيف الدين قصير بذلك ونشرتها دار الساقي سنة ٢٠٠٤ وهي أستاذة في كلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج ومستشارة في اللغة العربية في جامعة ديمونتفورت وتحاضر في معهد الدراسات الإسماعيلية.

هذه الرسالة تُعد من الدراسات الاستشراقية المهمة عن حياةَ الإمام الباقر(ع) وهي معتدلة في طروحاتها ونتائجها.إذ حاولت الباحثة إثبات مجموعة من الأفكار وهي:-

علمية الإمام الباقر (ع) التي فاقت معاصريه.

تسامح الإمام الباقر (ع) وسيرته المحمودة.

إنه أول إمام من أئمة الشيعة قام بالتعليم المُنظَّم أو بدأ بتنظيم التعليم الشيعي ووضع الضوابط له.

قام بإثبات مفاهيم الإمامة (الإمامة، العصمة، الشفاعة) في ضوء القرآن الكريم. إثبات أنّ الإمامة هي بالنص وليست بالوراثة.

والأمر المهم الذي بُني عليه الكتاب هو رأي لالاني أنّ جميع المدارس الفقهية الشيعية كانت قد اتبعت تعاليم الإمام الباقر(ع) وكل فروعها من (إمامية وزيدية وإسماعيلية) هي من مدرسة الباقر(ع) تحديداً.

(ع) أول شخص يكون جداهُ الحسن والحسين(ع) معاً. فهو محمد بن علي بن الحسين بن علي (ع) وأمه فاطمة أم عبد الله إحدى بنات الحسن بن علي (ع) كانت ولادته في المدينة يوم الثلاثاء لثلاث خلون من صفر سنةَ ٥٧هـ وكان عمره ثلاث أو أربع سنين عند شهادة جده الإمام الحسين(ع) في واقعة كربلاء. وقد انتقلت إليه الإمامة بعد وفاه والده الإمام علي بن الحسين(ع) وعمره ١٩ سنة، وهي السنة الأخيرة من حكم الوليد بن يزيد.

وقد أُختلِف في سنة وفاته (ع)، فاليعقوبي في تأريخه يرى أنها سنة ١١٧هـ.

والمسعودي يقول إنّه عاش حتى سنة ١٢٥هـ، وأوردها الطبري في سنة ١٢٥هـ. ولكنه (أي الطبري) يذكر في مكان آخر وعند حديثه عن ثورة زيد بن علي أن الوفاة كانت قبل سنة ١٢٢هـ. لأن مجموعة من أتباع زيد بن علي (ع) تخلّت عنه وتقرّبت من جعفر الصادق(٤). ومعلوم أنّ الإمام جعفر الصادق لم يمارس أي نشاط في حياة والده، وبهذا تكون هذه الحادثة قد حدثت بعد وفاة الإمام الباقر(ع)، فتقرّبت هذه الجماعة من الإمام آنذاك وهو جعفر الصادق (ع) سنة ١٢٢هـ.[٣٠]

وهناك حادثة مهمة يُفترض التوقف عندها وهي إدراك جابر بن عبد الله الأنصاري الإمام الباقر(ع). إذ يوجد تناقض في روايتها فهي عند الكليني أنّ جابراً عندما كان يتجوّل ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مَرَّ بالكُتّاب، فلما نظر جابر إلى الباقر (ع) سأله أن يقبل إليه ففعل وأن يدبر ففعل الطفل ما أراد منه جابر فقالَ إنّها شمائل رسول الله والذي نفسي بيده. يا غلام ما اسمك؟ وعندما أجاب بأنه يدعى محمد بن علي بن الحسين (ع) أقبل إليه جابر وقبّل رأسه، وأقسم بأمه وأبيه أنّ رسول الله يُقرئه السلام(٥). ولكن كيف رأى جابر إقبال وإدبار الإمام(ع) وكان جابر قد كفّ بصره آنذاك برواية القاضي النعمان في كتابه (شرح الأخبار) والرواية عكس ذلك لأن الباقر (ع) هو مَن يزور جابراً وهو كفيف البصر ويسأله جابر عَمَّن يكون الغلام. ولكن في كل الأحوال المراد هو لقاء جابر به.

في مقدمة كتابها ترى المستشرقة الرزينة لالاني أنّ «دراسة المذهب الشيعي واحدة من أكثر فروع الدراسات الإسلامية إهمالاً في الغرب، غير أنّ مجموعة مختارة من العلماء كرّست ابّان العقود القليلة الماضية اهتماماً جدياً بمجالات محددة من الإسلام الشيعي. ومن هذه المجموعة رولدف

شتروتمن (١٨٧٧-١٩٦٠) ولويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢) وتبعُهما هنري كوربان (١٩٠٣-١٩٧٨) وتُعد مساهمات كوربان فريدة في توفيرها فهماً عميقاً للفكر الشيعي بوجهيه الإسماعيلي والإثني عشري معاً. وفي وقت أقرب عهداً قام علماء مثل ايتان كوهلبرغ و ويلفيرد مادونغ وهاينز هالم وحسين م. جفري و موجن مومن وفرهاد دفتري و م. أ. أمير معزي وآخرون برفع مستوى فهمنا للإسلام الشيعي إلى مستوى كبير».

وعندما نأتي إلى دراسة لالاني نجدها دراسة أكاديمية متزنة فيها أراء تستند إلى أدلة عديدة وأحكام مهمة فهي تقول عن الإمام الباقر(ع): «كان الباقر(ع) معاصراً أصغر سناً من الرجال السبعة للفقه في المدينة، سعيد بن المُسيب، وعروة بن الزبير وأبي بكر عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبه وخارجة بن زياد بن ثابت وسليمان بن يسار وقاسم بن محمد بن أبي بكر الذي كان حما الباقر(ع)، كما كان معاصراً أكبر سناً أيضاً لعلماء مثل مالك بن أنس، وابن عُيينة وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة وسفيان الثوري، والأوزاعي، وقد وقف الباقر(ع) نداً إنْ لم يكن متفوقاً لهؤلاء العلماء البارزين وطبقاً لبعض العلماء فإنه لم يُنظر إليه على أنه واحد من بين علماء متميزين كثيرين من عصره، بل تفوق عليهم جميعاً بدرجة كبيرة». هذه المنزلة العلمية للإمام الباقر(ع) بين معاصريه أو سابقيه أو لاحقيه تمتّع بها كونه وريثاً لعلم آل بيت الرسول (ص) ولتسامحه واستيعابه كل الطبقات لذلك لم يتَحدَّث بسوء عن أي شخص أو خليفة بل كان يوصي بحب الخلفاء السابقين وذكرهم بالخير والاستغفار لهم وهذا ما ذكرته الكتب غير الشيعية كذلك كتأريخ الذهبي، وحيلة الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، وطبقات ابن سعد، قبل أن تذكره كتب الشيعة باتجاهاتها الثلاث التي تعلّمت من فقه وعلم الإمام الباقر(ع).

تم الإمام الباقر(ع) كما هو معروف من اسمه بالعلوم وحاول تنظيم التعليم الإسلامي لذلك توصّلت لالاني إلى رأي جدير بالاهتمام بقولها: «إنّ الباقر(ع) لعب دوراً هاماً في التأريخ من كلتي وجهتي النظر الدينية والفكرية، وعلى الرغم من امتناعه عن المشاركة في السياسة النشطة إلاّ أنّ يبرز كقائد حاذق وعالم متضلع ليس فقط في مسائل الشعائر والطقوس بل أيضاً في تفسير القرآن، والأحاديث النبوية ومسائل تتعلّق بالفقه إلى جانب موضوعات ذات طبيعة تنتمي إلى العالمين الروحاني والدنيوي معاً، في حين لم يكن التعليم الشيعي قد اتخذ قبل زمن الباقر(ع) شكله الخاص به، هذا وقد شهدت حياة الباقر(ع) ازدهار العلم في حقول متنوعة حيث لعبت دوراً في هذه المسيرة التأريخية وهذا ما شهد عليه العدد الكبير من الأحاديث التي أُسندت روايتها إليه، كما كان أيضاً أول معلم شيعي يشترك في تعليمٍ منظم».[٣١]

أما أهم ما كان في كتاب الرزينة لالاني عن الإمام الباقر(ع) هو تأكيدها على تأصيل فكرة الإمامة في الفكر الشيعي قرآنياً على يد الإمام الباقر(ع) وهذا الأمر أكّده فيما سبق المستشرق كوهلبرغ في بحثه المعنون محمد الباقر(ع) في دائرة المعارف الإسلامية بقوله «إنّ الإمام يُعّد الأول من بين الأئمة في تشكيل وبناء ما صار يعرف بالعقائد الأساسية للمذهب الاثني عشري أي بما يتعلق بوضع نظرية لمبدأ النص في الإمامة وفي أصول الفقه الامامي». ولذلك تابعت الرزنية لالاني أقوال الإمام الباقر(ع) في هذا الموضوع وأفردت لها الفصل الثالث من كتابها من ص ٨٩-١٢١ومن ذلك حديثه عن قوله تعالى: «إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون»، تقول لالاني: «يجزم الباقر(ع) في تعليقه على الآية أنّها نزلت بشكلٍ قاطع في الوقت الذي كان فيه الرسول (ص) مع مجموعة من اليهود وكان عبد الله بن سلام من بين هؤلاء الحاضرين وما أن نزلت الآية حتى نهض الرسول (ص) وسار إلى المسجد حيث قابل متسّولاً وعندما سأله الرسول عمّا إذا كان أحدٌ ما قد أعطاه شيئاً. أشار المتسول إلى رجلٍ كان لايزال يصلي، أما الرجل فكان علياً».

المصادر:

- بحار الأنوار، العلامة المجلسي.
- المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن بن الحسين المسعودي تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت سنة ٢٠٠٥.
- تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢/٢٤٨ .
- التبيان للطوسي ٣/٢٣٥ والطبرسي ٢/٤٦ وتفسير القمي.
- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٣.
- الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر(ع) الرزينة لالاني.
- التشيع والاستشراق الدكتور عبد الجبار ناجي.

الهوامش:-

١ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧١، ص ١٧١.

٢ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن بن الحسين المسعودي تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت سنة ٢٠٠٥،ص ٥٤ .

٣ تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢/٢٤٨ ،ص ٩٨ ز

٤ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧١، ص ١٧١.
٥ التبيان للطوسي ٢٣٥/٣ والطبرسي ٤٦/٢ وتفسير القمي .
٦ وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ٧٨.
٧ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧١، ص ١٧١.
٨ تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢٤٨/٢ ،ص ٩٨.
٩ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن بن الحسين المسعودي تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت سنة ٢٠٠٥،ص٤٦ .
١٠ التبيان للطوسي ٢٣٥/٣ والطبرسي ٤٦/٢ وتفسير القمي .
١١ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧١، ص ١٧١.
١٢ وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ٧٨.
١٣ التبيان للطوسي ٢٣٥/٣ والطبرسي ٤٦/٢ وتفسير القمي .
١٤ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٣، ص ١٩١٤.
١٥ تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢٤٨/٢ ،ص ١٨٨ .
١٦ وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ٧٨.
١٧ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٣، ص ١٩١٤.
١٨ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن بن الحسين المسعودي تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت سنة ٢٠٠٥،ص ٨٧ .
١٩ تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢٤٨/٢ ،ص ٢٧٧ .
٢٠ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧١، ص ١٧١.
٢١ التبيان للطوسي ٢٣٥/٣ والطبرسي ٤٦/٢ وتفسير القمي .
٢٢ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧١، ص ١٧١.
٢٣ الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر(ع) الرزينة لالاني ص١٩.
٢٤ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن بن الحسين المسعودي تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت سنة ٢٠٠٥، ص ٩٤.
٢٥ تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢٤٨/٢ ،ص ٢٨٨ .
٢٦ التبيان للطوسي ٢٣٥/٣ والطبرسي ٤٦/٢ وتفسير القمي .
٢٧ التشيع والاستشراق الدكتور عبد الجبار ناجي ص٤٠٤.
٢٨ الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر(ع) الرزينة لالاني ص١٩.
٢٩ تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢٤٨/٢ ،ص ١٨٦ .
٣٠ التشيع والاستشراق الدكتور عبد الجبار ناجي ص٤٠٤.
٣١ الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر(ع) الرزينة لالاني ص١٩.

Abstract:

In the personality of Imam Abu Jaafar, peace and blessings be upon him, all the qualities that have enabled him to lead this nation have been distinguished. This man is superior to him. Imam Muhammad ibn Ali al-Baqir (peace be upon him) was a collector of humanities in his biography and behavior. He was worthy of the great imamate after his father Zayn al-Abidin (peace be upon him).

His childhood began, peace be upon him, in the midst of the hell of the successive events against the lovers of the people of the house, while the Umayyad rule, it suffered a lot of peace. And saw the rule of Abd al-Malik and al-Walid and Hisham his sons, and saw the course of the pilgrims Ibn Yusuf, this wolf of the wolves of hell, saw the siege imposed on his father Galilee, saw how people move full freedom; say what they want and write what they want, but the people The Prophet's house is forbidden to them, and people do not dare to approach the imam's home, or ask him about any question, whether religious or otherwise, except because Zine El Abidine is the son of Hussein and the grandson of Ali ibn Abi Talib. Despite these severe restrictions, there were men who believed, not paying attention to the orders of the rulers.

Imam al-Baqir (peace be upon him) was the destination of scholars from all the countries of the Islamic world. And he visited the city only one of the lame on his house takes from the virtues and sciences, and was intended by senior men of Islamic jurisprudence, such as Sofian revolutionary and Abu Hanifa. Narrated by the parameters of religion; the remains of companions and faces of the followers and heads of Muslim scholars.
He referred to such a senior narrator of that era, Abdullah bin Ata, saying: "What I saw scientists when one, the youngest of them note of Abu Jaafar, I saw the rule bin Ateiba him - a scientific figure known at that time - with His Majesty In the people in his hands, as if he were a boy in the hands of his teacher. " Despite these tragic circumstances, Imam al-Salam (peace be upon him) managed to educate many scholars, scholars and interpreters, as Muslims from all parts of the Islamic world had condemned him in a way that was not analogous to him. He did not live isolated from the events of the Islamic arena, and Imam al-Baqir fought a bitter struggle against The deviant beliefs that were active in his time, and contributed positively to the public awareness against these intellectual and ideological deviations, and to move their consciences and seek to elevate them and revive their dignity by material and moral giving, such as their great fathers and great-grandfathers, and did not limit them to worship and piety, patience, The proud role model for the generation that lived during all the generations that followed, this is a great personal honor of the analysis dealt with the lesson so deliberately researchers to address this great personal four axes.

1 - the ethics of Imam Baqir (peace be upon him).
2 - Imam and his role in reforming the Islamic nation.
3 - Imam al-Baqir and the fact that he was in Karbala.
4 - Imam al-Baqir when Sunni scholars and orientalists.

The researchers reached a set of recommendations at the end of the research.